سلسلة

نجوم الصحابة

١

الشُهَداءُ

زَيدُ بنُ حَارِثَةَ ❖ عمَّارُ بنُ يَاسِرٍ

عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ



بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة نجوم الصحابة (١٣)

الشُّهَدَاءُ

(١)

إعداد

مسعود صبري إبراهيم

الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم التسلسل
(٦٢)





دمشق : حلبوني - ص ب: ٢٥٢٣٧ - فاكس: ٢٤٥٤٠١٣
هاتف: ٢٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١ +) - جوال: ٠٩٤٤ ٤٥٣٦٣٨
البريد الالكتروني: algawthani@scs-net.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الشَّهَادَةُ، وَالجِهَادُ، وَالغَزْوُ، وَالفَتْحُ: كَلِمَاتٌ وُجِدَتْ فِي قَامُوسِ الأُمَّةِ، لِتُعَبِّرَ عَنْ عِزَّةِ الإِسْلَامِ، وَحِمَايَتِهِ لِلمَحَارِمِ، فكَانَتْ الشَّهَادَةُ هِيَ أَقْصَى مَا يَتَمَنَّى المُسْلِمُ، إِذْ حَرَصُوا فِي كُلِّ فُتُوحَاتِهِمْ وَغَزَوَاتِهِمْ عَلَى أَنْ يَنَالُوهَا، بَلْ يَنْدَمُونَ كُلَّ النَّدَمِ إِنْ لَمْ يَحْصُلُوا عَلَيهَا، إِنَّهَا وِسَامُ الشَّرَفِ، وَمِفْتَاحُ الجَنَّةِ، حَتَّى قَالَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ وَهُوَ يَبْكِي أَلَمًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَشْهِدْ مَعَ كَثْرَةِ غَزَوَاتِهِ وَحُرُوبِهِ: وَهَأَنَذَا أَمُوتُ عَلَى الفِرَاشِ كَمَا يَمُوتُ البَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاءِ.

لَقَدْ كَانَ الحِرْصُ عَلَى الشَّهَادَةِ أَحَدَ أَسْبَابِ النَّصْرِ وَالعِزَّةِ وَالرِّفْعَةِ، وَكَانَ صَدَى الشَّهَادَةِ يَتَرَدَّدُ فِي المَسْجِدِ وَالبَيتِ وَالشَّارِعِ قَبْلَ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي سَاحَةِ القِتَالِ، وَنَالَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الشَّهَادَةَ، وَفَرِحُوا بِهَا لِيَنْعَمُوا بِقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٩].

وَهَذِهِ نَمَاذِجُ لِصَحَابَةٍ أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِالشَّهَادَةِ.

زَيدُ بنُ حَارِثَةَ

إِنَّهُ زَيدُ بنُ حَارِثَةَ ﵁، وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ زَيدَ بنَ مُحَمَّدٍ.

زَيدٌ فِي مَكَّةَ:

وَكَانَتْ أُمُّهُ سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ قَدْ أَخَذَتْهُ مَعَهَا، وَهُوَ ابنُ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ، لِزِيَارَةِ أَهْلِهَا فِي بَنِي مَعْنٍ، وَمَكَثَتْ سُعْدَى فِي قَوْمِهَا مَا شَاءَ اللهُ لَهَا أَنْ تَمْكُثَ، وَفُوجِئَ أَهْلُ مَعْنٍ بِإِحْدَى القَبَائِلِ المُعَادِيَةِ تَهْجُمُ عَلَيهِمْ، وَتُنْزِلُ الهَزِيمَةَ بِهِمْ، وَتَأْخُذُ مِنْ بَيْنِ الأَسْرَى زَيْدًا.

وَعَادَتِ الأُمُّ إِلَى زَوْجِهَا وَحِيدَةً، فَلَمْ يَكَدْ يَعْرِفُ حَارِثَةُ الخَبَرَ حَتَّى سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيهِ، وَحَمَلَ عَصَاهُ فَوقَ ظَهْرِهِ، وَمَضَى يَجُوبُ الدِّيَارَ، وَيَقْطَعُ الصَّحَارَى، وَيَسْأَلُ القَبَائِلَ وَالقَوَافِلَ عَنِ ابْنِهِ، حَتَّى جَاءَ مَوْسِمُ الحَجِّ وَالتِّجَارَةِ، فَالتَقَى رِجَالٌ مِنْ قَبِيلَةِ حَارِثَةَ بِزَيْدٍ فِي مَكَّةَ، وَنَقَلُوا لَهُ لَوْعَةَ أَبَوَيْهِ، فَقَصَّ عَلَيهِمْ زَيْدٌ حِكَايَتَهُ، وَكَيفَ هَاجَمَ بَنُو القَيْنِ قَبِيلَةَ أُمِّهِ وَاخْتَطَفُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ

فِي سُوقِ عُكَاظٍ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيشٍ اسْمُهُ حَكِيمُ بنُ حِزامِ بنِ خُوَيْلِدٍ، فَأَعْطَاهُ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ الَّتِي وَهَبَتْهُ لِزَوجِهَا مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ، فَقَبِلَهُ وَأَعْتَقَهُ. ثُمَّ قَالَ زَيدٌ لِلحُجَّاجِ مِنْ قَومِهِ: أَخْبِرُوا أَبِي أَنِّي هُنَا مَعَ أَكْرَمِ وَالِدٍ.

فَلَمَّا عَادَ القَومُ أَخْبَرُوا أَبَاهُ، وَلَمْ يَكَدْ حَارِثَةُ يَعْلَمُ مَكَانَ ابْنِهِ حَتَّى خَرَجَ هُوَ وَأَخُوهُ إِلَى مَكَّةَ، فَسَأَلَا عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهُ فِي الكَعْبَةِ - وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُبْعَثْ بَعْدُ - فَدَخَلَا عَلَيهِ فَقَالَا: يَا ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، يَا ابْنَ سَيِّدِ قَومِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللهِ وَجِيرَانُهُ، تَفُكُّونَ العَانِيَ، وَتُطْعِمُونَ الأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي وَلَدِنَا، فَامْنُنْ عَلَينَا، وَأَحْسِنْ فِي فِدَائِهِ. فَتَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ لِزَيدٍ حُرِّيَّةَ الاخْتِيَارِ، فَقَالَ لَهُمَا: «ادْعُوا زَيْدًا، خَيِّرُوهُ، فَإِنِ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بِغَيرِ فِدَاءٍ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَوَاللهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنْ اخْتَارَنِي فِدَاءً».

فَفَرِحَ حَارِثَةُ، وَلَكِنَّ زَيدًا اخْتَارَ الرَّسُولَ ﷺ، فَدُهِشَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ، فَقَالَ زَيدٌ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيئًا مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيهِ أَحَدًا أَبَدًا.

فَلَمَّا رَأَى الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَدَمَعَتْ عَينَاهُ، وَأَخَذَ زَيدًا وَخَرَجَ إِلَى حِجْرِ الكَعْبَةِ حَيثُ قُرَيْشٌ مُجْتَمِعَةٌ، وَنَادَى: «يَا مَنْ حَضَرَ، اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي يَرِثُنِي وأَرِثُهُ» [ابنُ حجر]. فَلَمَّا رَأَى أَبُوهُ وَعَمُّهُ ذَلِكَ طَابَتْ نَفْسَاهُمَا، وَصَارَ زَيدٌ لَا يُعْرَفُ فِي مَكَّةَ كُلِّهَا إِلَّا بزَيدِ بنِ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلَامُ، أَسْلَمَ زَيدٌ، وَكَانَ ثَانِيَ مَنْ أَسْلَمَ، وَأَحَبَّهُ الرَّسُولُ ﷺ حُبًّا عَظِيمًا.

زَيدٌ فِي المَدِينَةِ:

وَلَمَّا أَذِنَ الرَّسُولُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ هَاجَرَ زَيدٌ إِلَى المَدِينَةِ، وَآخَى الرَّسُولُ ﷺ بَينَهُ وَبَيْنَ أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ، وَظَلَّ زَيدٌ يُدْعَى زَيدَ بنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأَحْزَاب: ٥]. فَسُمِّيَ زَيدَ بنَ حَارِثَةَ، وَزَوَّجَهُ ﷺ مَولَاتَهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَأَنْجَبَتْ لَهُ أُسَامَةَ بنَ زَيدٍ، ثُمَّ زَوَّجَهُ ﷺ ابْنَةَ عَمَّتِهِ زَينَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَلَكِنْ لَمْ تَطِبِ الحَيَاةُ بَينَهُمَا، فَذَهَبَ زَيدٌ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يَشْكُوهَا، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُمْسِكَ عَلَيهِ زَوجَهُ، وَيَصْبِرَ عَلَيهَا، وَلَكِنَّ

اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُطَلِّقَ زَيْنَبَ مِنْ زَيْدٍ، وَيَتَزَوَّجَهَا هُوَ، وَذَلِكَ لِإِبْطَالِ عَادَةِ التَّبَنِّي الَّتِي كَانَتْ مُنْتَشِرَةً فِي الجَاهِلِيَّةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

شَرَفٌ مِنَ اللهِ:

وَيَكْفِي زَيداً فَخْرًا أَنْ شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى بِذِكْرِ اسْمِهِ فِي القُرْآنِ، وَقَدْ زَوَّجَهُ الرَّسُولُ ﷺ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ.

أَمِيرُ الجُيُوشِ:

وَكَانَ زَيدٌ شُجَاعًا، وَمِنْ أَحْسَنِ الرُّمَاةِ، فَاشْتَرَكَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَبَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى المَوْتِ فِي أُحُدٍ، وَحَضَرَ الخَنْدَقَ، وَصُلْحَ الحُدَيْبِيَةِ، وَفَتْحَ خَيْبَرَ، وَغَزْوَةَ حُنَيْنٍ، وَجَعَلَهُ النَّبِيُّ أَمِيرًا عَلَى سَبْعِ سَرَايَا، مِنْهَا: الجُمُوعُ وَالطَّرْفُ وَالعِيصُ وحِسْمَى،

وَغَيرُها، وَقَدْ قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةَ رضي الله عنها: مَا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي جَيشٍ قَطُّ إِلَّا أَمَّرَهُ عَلَيهِمْ [النَّسَائِيّ وَأَحْمَد].

شَهِيدُ مُؤتَةَ:

وَعِنْدَمَا أَخَذَ الرُّومُ يُغِيرُونَ عَلَى حُدُودِ الدَّولَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَاتَّخُذُوا مِنَ الشَّامِ نُقْطَةَ انْطِلَاقٍ لَهُمْ؛ سَيَّرَ الرَّسُولُ ﷺ جَيشًا إِلَى أَرْضِ البَلْقَاءِ بِالشَّامِ، وَوَقَفَ ﷺ يُوَدِّعُ جَيشَهُ بَعْدَ أَنْ أَمَّرَ عَلَيهِمْ زَيدَ بنَ حَارِثَةَ، قَائِلًا: «إِنْ أُصِيبَ زَيدٌ فَجَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ» [ابنُ إِسْحَاق].

وَسَارَ الجَيْشُ حَتَّى نَزَلَ بِجِوَارِ بَلْدَةِ مُؤْتَةَ، وَتَقَابَلَ جَيشُ المُسْلِمِينَ مَع جَيشِ الرُّومِ الَّذِي كَانَ عَدَدُهُ يَزِيدُ عَلَى مِئَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ. وَدَارَتِ الحَرْبُ، وانْدَفَعَ زَيدٌ فِي صُفُوفِ الأَعْدَاءِ، ضَارِبًا بِسَيفِهِ يَمِينًا وَيَسَارًا، حَامِلًا الرَّايَةَ بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى الأَعْدَاءُ شَجَاعَتَهُ طَعَنُوهُ مِنَ الخَلْفِ، فَظَلَّ زَيدٌ حَامِلًا الرَّايَةَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَدَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، قَد دَخَلَ الجَنَّةَ وَهُوَ يَسْعَى» [ابنُ سَعْدٍ].

عمّارُ بنُ ياسرٍ

نَسَبُ عَمَّارٍ:

كَانَ هُوَ وَأَبُوهُ يَاسِرٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ بِنْتُ خَيّاطٍ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ قَدِمَ مِنَ اليَمَنِ، وَاسْتَقَرَّ بِمَكَّةَ، وَلَمَّا عَلِمَ المُشْرِكُونَ بِإِسْلَامِ هَذِهِ الأُسْرَةِ أَخَذُوهُمْ وَعَذَّبُوهُم عَذَابًا شَدِيدًا، فَمَرَّ عَلَيهِمُ الرَّسُولُ ﷺ وَقَالَ لَهُمْ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوعِدَكُمُ الجَنَّةُ» [الطَّبَرَانِيّ والحَاكِم].

وَطَعَنَ أَبُو جَهْلٍ السَّيِّدَةَ سُمَيَّةَ فَمَاتَتْ، لِتَكُونَ أَوَّلَ شَهِيدَةٍ فِي الإِسْلَامِ، ثُمَّ يَلْحَقُ بِهَا زَوجُهَا يَاسِرٌ، وَبَقِيَ عَمَّارٌ يُعَانِي العَذَابَ الشَّدِيدَ، فَكَانُوا يَضَعُونَ رَأْسَهُ فِي المَاءِ، وَيَضْرِبُونَهُ بِالسِّيَاطِ، وَيُحْرِقُونَهُ بِالنَّارِ، فَمَرَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَوَضَعَ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: «يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى عَمَّارٍ كَمَا كُنْتِ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ» [ابنُ سَعْد].

وَذَاتَ يَومٍ، لَقِيَ عَمَّارٌ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ ﷺ يَمْسَحُ عَنْ عَيْنَيهِ وَيَقُولُ لَهُ: «أَخَذَكَ الكُفَّارُ فَغَطُّوكَ فِي النَّارِ» [ابنُ سَعْد]، وَاسْتَمَرَّ المُشْرِكُونَ فِي تَعْذِيبِ عَمَّار، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَأَصْنَامَهُم بِخَيْرٍ، وَعِنْدَهَا تَرَكُوهُ، فَذَهَبَ مُسْرِعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا

وَرَاءَكَ»؟ قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ (أَي ذَكَرْتُكَ بِسُوءٍ) وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيرٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «فَكَيفَ تَجِدُكَ»؟ قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ، قَالَ: «فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ» [ابنُ سَعْد وَالحَاكِم]. وَنَزَلَ فِيهِ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النَّحل: ١٠٦].

مُجَاهِدُ الثَّقَلَينِ:

هَاجَرَ عَمَّارٌ إِلَى الحَبَشَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَشَارَكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَمِيعِ الغَزَوَاتِ، حَتَّى إِنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: قَاتَلْتُ مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ الجِنَّ وَالإِنْسَ. فَسَأَلَهُ الصَّحَابَةُ: فَكَيفَ؟ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَأَخَذْتُ قِرْبَتِي وَدَلْوِي لِأَسْتَقِيَ، فَقَالَ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ عَلَى المَاءِ آتٍ يَمْنَعُكَ مِنْهُ».

فَلَمَّا كُنْتُ عَلَى رَأسِ البِئْرِ إِذَا بِرَجُلٍ أَسْوَدَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا تَسْتَقِي اليَوْمَ مِنْهَا. فَأَخَذَنِي وَأَخَذْتُهُ (تَشَاجَرْنَا) فَصَرَعْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُ وَجْهَهُ وَأَنْفَهُ، ثُمَّ مَلَأْتُ قِرْبَتِي وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «هَلْ أَتَاكَ عَلَى المَاءِ أَحَدٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَصَصْتُ عَلَيهِ القِصَّةَ فَقَالَ: «أَتَدْرِي مَنْ هُوَ؟». قُلْتُ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ الشَّيْطَانُ» [ابنُ سَعْد].

وَذَاتَ يَومٍ اسْتَأْذَنَ عَمَّارٌ ﷺ الرَّسُولَ ﷺ لِيَدْخُلَ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ هَذَا»؟ قَالَ: عَمَّارٌ. فَقَالَ ﷺ: «مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ المُطَيَّبِ» [التِّرمِذِيّ والحَاكِم].

قُدْوَةُ المُسْلِمِينَ:

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عَمَّارًا مُلِئَ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ (أَي إِلَى آخِرِ جُزْءٍ فِيهِ)» [النَّسَائِيّ والحَاكِم]. وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ المُسْلِمِينَ أَنْ يَتْبَعُوا عَمَّارًا وَيَقْتَدُوا بِهِ، فَقَالَ ﷺ: «اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ (عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ)» [أَحْمَد].

شُجَاعُ اليَمَامَةِ:

وَبَعدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، اشْتَرَكَ عَمَّارٌ مَعَ الصِّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ فِي مُحَارَبَةِ المُرْتَدِّينَ فِي مَعْرَكَةِ اليَمَامَةِ حَتَّى قَالَ ابنُ عُمَرَ ﷺ عَنْ شَجَاعَتِهِ: رَأَيتُ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ ﷺ يَومَ اليَمَامَةِ عَلَى صَخْرَةٍ يَصِيحُ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أَمِنَ الجَنَّةِ تَفِرُّونَ؟ أَنَا عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ، أَمِنَ الجَنَّةِ تَفِرُّونَ؟ أَنَا عَمَّارُ بن يَاسِرٍ، هَلُمَّ إِلَيَّ. وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى أُذُنِهِ قَدْ قُطِعَتْ فَهِي تَذَبْذَبُ (تَتحَرَّكُ) وَهُوَ يُقَاتِلُ أَشَدَّ القِتَالِ.

أَمِيرُ الكُوفَةِ:

وَبَعدَ أَنْ تَوَلَّى عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ الخِلاَفَةَ، وَلَّى عَمَّارًا عَلَى الكُوفَةِ، وَمَعَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، وَبَعَثَ بِكِتَابٍ إِلَى أَهْلِهَا يَقُولُ لَهُم فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيكُمْ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ أَمِيرًا وَابنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّمًا وَوَزِيرًا، وَإِنَّهُمَا لَمِنَ النُّجَبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَاسْمَعُوا لَهُمَا وَأَطِيعُوا، وَاقْتَدُوا بِهِمَا.

التَّوَاضُعُ:

وَكَانَ عَمَّارٌ مُتَوَاضِعًا زَاهِدًا سَمْحًا كَرِيمًا، فَقَدْ سَبَّهُ رَجُلٌ وَعَيَّرَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ بِأُذُنِهِ الَّتِي قُطِعَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَالَ له: أَيُّهَا الأَجْدَعُ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ: خَيْرَ أُذُنَيَّ سَبَبْتَ، فَإِنَّهَا أُصِيبَتْ مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ.

شَهِيدُ صِفِّين:

وَفِي يَومِ صِفِّينَ كَانَ عَمَّارٌ فِي جَيْشِ عَلِيٍّ، وَقَبْلَ بِدَايَةِ المَعْرَكَةِ شَعَرَ عَمَّارٌ بِالعَطَشِ، فَإِذَا بِامْرَأَةٍ تَأْتِيهِ وَفِي يَدِهَا إِنَاءٌ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَتَذَكَّرَ قَولُ الرَّسُولِ ﷺ لَهُ: «آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنيَا شَرْبَةُ لَبَنٍ» [أحْمَد].

ثُمَّ قَالَ فِي جُمُوعِ المُقَاتِلِينَ: الجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، وَالمَوتُ فِي أَطْرَافِ الأَسِنَّةِ، وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَتَزَيَّنَتِ الحُورُ العِينُ، اليَوْمَ أَلْقَى الأَحِبَّةَ، مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ (أَصْحَابَهُ). ثُمَّ تَقَدَّمَ لِلْقِتَالِ فَاسْتُشْهِدَ سَنَةَ (٣٧هـ)، وَكَانَ عُمُرُهُ آنَذَاكَ (٩٣) سَنَةً، وَدَفَنَهُ الإِمَامُ عَلِيٌّ، وَصَلَّى عَلَيهِ.

** ** **

عَبدُ اللّهِ بنُ رَوَاحَةَ

أَحَدُ الشُّعَرَاءِ:

كَانَ يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ. وَقَدْ حَضَرَ بَيْعَتَي العَقَبَةِ الأُولَى وَالثَّانِيَةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالخَنْدَقَ، وَكَانَ أَحَدَ شُعَرَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الثَّلَاثَةِ، وَكَانَ بَينَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ   اليَومَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ   وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِه

فَنَادَى عَلَيْهِ عُمَرُ وَقَالَ لَهُ: فِي حَرَمِ اللهِ وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلَامُهُ أَشَدُّ عَلَيهِمْ مِن وَقْعِ النَّبْلِ» [أَبُو يَعْلَى].

إِنَّـه الـصَّحَابِيُّ الجَلِيـلُ عَبْـدُ اللهِ بـنُ رَوَاحَـةَ الخَزْرَجِـيُّ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه.

دَاعِيَةُ الإِيمَانِ:

كَانَ عَبْدُ اللهِ عَابِدًا مُحِبًّا لِمَجَالِسِ العِلْمِ وَالذِّكْرِ، فَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ إِذَا لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ لَهُ: تَعَالَ نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً.

وَذَاتَ مَرَّةٍ؛ سَمِعَهُ أَحَدُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ ذَلِكَ، فَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَرَى ابنَ رَوَاحَةَ، يَرْغَبُ عَن إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانٍ سَاعَةٍ؟! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ ابنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ المَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا المَلَائِكَةُ» [أَحْمَد].

وَذَهَبَ عَبْدُ اللهِ إِلَى المَسْجِدِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اِجْلِسُوا» فَجَلَسَ عَبْدُ اللهِ مَكَانَهُ خَارِجَ المَسْجِدِ حَتَّى فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ خُطْبَتِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «زَادَكَ اللهُ حِرْصًا عَلَى طَوَاعِيَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ» [البيهقي].

وَكَانَ كَثِيرَ الخَوفِ وَالخَشْيَةِ مِنَ اللهِ، وَكَانَ يَبْكِي كَثِيرًا، وَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَرْيَم: ٧١] فَلَا أَدْرِي أَأَنْجُو مِنْهَا أَمْ لَا؟ وَعُرِفَ عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ بِكَثْرَةِ

الصِّيَامِ حَتَّى فِي الأَيَّامِ الشَّدِيدَةِ الحَرِّ، يَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﵁: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَومٍ حَارٍّ حَتَّى وَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأسِهِ مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ وَابنُ رَوَاحَةَ.

وَلَمَّا نَزَلَ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٤-٢٢٦]. أَخَذَ عَبْدُ اللهِ فِي البُكَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ شَاعِرًا. وَقَالَ لِنَفْسِهِ: قَدْ عَلِمَ اللهُ أَنِّي مِنْهُمْ، وَكَانَ مَعَهُ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ، وَحَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ، وَهُمْ شُعَرَاءُ الرَّسُولِ ﷺ، فَنَزَلَ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧]. فَفَرِحَ عَبْدُ اللهِ، وَاسْتَمَرَّ يَنْصُرُ المُسْلِمِينَ بِشِعْرِهِ.

وَذَاتَ يَومٍ، أَنْشَدَ عَبْدُ اللهِ مِنْ شِعْرِهِ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ:

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخَيْرَ أَعْرِفُهُ
وَاللهُ يَعْرِفُ أَنْ مَا خَانَنِي الخَبَرُ
أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمْ شَفَاعَتَهُ
يَوْمَ الحِسَابِ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ القَدَرُ

فَثَبَّــتَ اللهُ مَــا آتَــاكَ مِــنْ حَــسَنٍ

تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَـصْراً كَالَّـذِي نُـصِرُوا

فَدَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «وَإِيَّاكَ فَثَبَّتَكَ اللهُ» [ابنُ سَعْدٍ].

وَكَمَا نَصَرَ عَبدُ اللهِ الإِسْلَامَ فِي مَيْدَانِ الكَلِمَةِ، فَقَدْ نَصَرَهُ بِاقْتِدَارٍ فِي مَيْدَانِ الحَرْبِ وَالجِهَادِ بِشَجَاعَتِهِ وَفُرُوسِيَّتِهِ.

رَافِضُ الرَّشْوَةِ:

وَكَانَ ابنُ رَوَاحَةَ أَمِينًا عَادِلًا، وَقَدْ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى يَهُودِ خَيْبَرَ؛ لِيَأْخُذَ الخَرَاجَ وَالجِزْيَةَ مِمَّا فِي أَرَضِيهِمْ، فَحَاوَلُوا إِعْطَاءَهُ رِشْوَةً لِيُخَفِّفَ عَنْهُمُ الخَرَاجَ، فَقَالَ لَهُم: يَا أَعْدَاءَ اللهِ، تُطْعِمُونِي السُّحْتَ؟ وَاللهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنَ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَلَّا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ (أَيْ أَتَعَامَلَ مَعَكُمْ بِالعَدْلِ).

وَفِي شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، عَلِمَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ الرُّومَ قَدْ حَشَدُوا جُيُوشَهُمُ اسْتِعْدَادًا لِلهُجُومِ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا إِلَى حُدُودِ الشَّامِ عَدَدُهُ

ثَلاثَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ، لِيُؤَمِّنَ الحُدُودَ الإِسْلَامِيَّةَ مِنْ أَطْمَاعِ الرُّومِ، وَجَعَلَ زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ أَمِيرًا عَلَى الجَيشِ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ قُتِلَ زَيدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ» [البُخَارِيّ].

فَلَمَّا وَصَلَ جَيْشُ المُسْلِمِينَ إِلَى حُدُودِ الشَّامِ، عَلِمُوا أَنَّ عَدَدَ جَيْشِ الرُّومِ مِئَتَا أَلْفِ فَارِسٍ، فَقَالُوا: نَكْتُبُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُرْسِلَ إِلَيْنَا مَدَدًا مِنَ الرِّجَالِ، أَو يَأْمُرَنَا أَنْ نَرْجِعَ أَوْ أَيَّ أَمْرٍ آخَرَ.

فَقَالَ لَهُمْ ابنُ رَوَاحَةَ: يَا قَوْمِ، وَاللهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ هِيَ الَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ، إِنَّهَا الشَّهَادَةُ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، إِنَّمَا نُقَاتِلُهُمْ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا ظُهُورٌ (نَصْرٌ) وَإِمَّا شَهَادَةٌ.

فَكَبَّرَ المُسْلِمُونَ وَوَاصَلُوا مَسِيرَتَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا قَرْيَةً بِالشَّامِ تُسَمَّى مُؤْتَةَ وَفِيهَا دَارَتِ الحَرْبُ، وَقَاتَلَ المُسْلِمُونَ أَعْدَاءَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَأَخَذَ زَيدٌ يُقَاتِلُ وَمَعَهُ رَايَةُ المُسْلِمِينَ، فَاسْتُشْهِدَ زَيدٌ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ، وَرَاحَ يُقَاتِلُ فِي شَجَاعَةٍ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَ عَبْدُ اللهِ الرَّايَةَ، وَلَكِنَّهُ سَرْعَانَ مَا تَشَجَّعَ، وَرَاحَ يُقَاتِلُ فِي شَجَاعَةٍ، وَنَالَ عَبدُ اللهِ الشَّهَادَةَ، وَلَحِقَ بِصَاحِبَيْهِ زَيْدٍ وَجَعْفَرٍ.

سلسلة نجوم الصحابة

١ - الخُلَفَاءُ الرَاشِدون
٢ - أَهــلُ الجنــةِ
٣ - القُــــرَّاءُ
٤ - الأُمَـــرَاءُ
٥ - العُــلَمَـــاءُ
٦ - الأَوائِـــــلُ
٧ - الشُّـــهَدَاءُ

٨١٠٠٥٩